المدرسة العادلية الكبرى

تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف

من دواعي الفخر لمدينة دمشق أن تقوم المدرسة العادلية الكبرى على رعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف ، وأن تكون لها فكرة سامية وهدف عال نحو اللغة العربية ، وهي أهداف لا تختلف بجوهرها عن أهداف المجمع العلمي العربي بدمشق ، بل كان الهدف واحداً منذ احتفل بافتتاحها سنة (٦١٩هـ) الى يومنا هذا وقد أصبحت مجمعاً علمياً .

أسدل النعيمي حجاباً كثيفاً على هذه الناحية في « تنبيه الطالب » ثم حذا حذوه من اختصر كتابه أو استمد منه ، لأنه ذكر هذه المدرسة مع مدارس الفقهاء الشافعية ولم يشر الى ناحية اللغة العربية . وانما أشار الى ذلك اشارة ضعيفة في باب الترب فجعل الانسان لا ينتبه لهذه الناحية . ولدى استقراء نظام التدريس فيها تبين ان لهذه المدرسة فرعين : فرع للفقه ، وفرع للقراءات واللغة العربية .

وضع أسس هذه المدرسة لدراسة الفقه الشافعي السلطان نور الدين محمود ابن زنكي سنة (٥٦٨) ولم يرتفع من بنائها الا القليل حتى عاجلته المنية [١] وفي سنة (٦١٢) أزال الملك العادل بناء نور الدين وعمل مكانه مدرسة عظيمة للشافعية بعد أن وسع مساحتها ودعيت باسمه [٢] . وتوفي الملك العادل سنة (٦١٥) ودفن في قلعة دمشق ولما يكمل بناؤها ، فقام ابنه الملك المعظم بإكمال بناء هذه المدرسة

---

(١) كتاب الروضتين ٢١٤/١ ؛ خطط الشام للأستاذ محمد كردعلي ٨٥/٦ .
(٢) المصدر نفسه ؛ البداية والنهاية ٥٨/١٣ ؛ تنبيه الطالب ٣٥٩/١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجعل لها قبة لدفن أبيه ، ونقل جثته من القلعة اليها سنة (٦١٩) وهي السنة التي تمّ فيها بناؤها واحتفل بافتتاحها .

يعود الفضل في إتمام هذه المدرسة الى الملك المعظم الذي نفذ مشروع سلفه وأوقف عليها الأوقاف العظيمة . وكان مفرماً باللغة العربية وآدابها فأراد تحقيق أفكاره وميوله في هذه المدرسة التي أصبحت سيدة مدارس دمشق ، ولم يشأ أن يغير ما أنشئت من أجله وأن يهدم مشاريع سلفه فجعلها قسمين : (١) قسم للفقه . (٢) قسم للقراءات والعلوم العربية .

الملك المعظم وولعه الشديد باللغة العربية :

أنجب الملك العادل أخو صلاح الدين ستة عشر ولداً [١] كان في طليعتهم الملك الكامل محمد (ملك مصر) والملك المعظم عيسى (ملك دمشق) والملك الأشرف موسى (ملك الجزيرة وبلاد الأرمن ثم دمشق) ورغماً عما كان عليه أولاده من ثقافة عالية ، ومعرفة غزيرة ، وأدب جم ، ونظم للشعر العربي ، فقد كان الملك المعظم عالم البيت الأيوبي غير منازع ، وحامل راية ثقافتهم ، ومفخر دولتهم على مر الزمان ، ويقول الأستاذ خليل مردم بك : ان الملك المعظم في بني أيوب كالمأمون في بني العباس [٢] .

ولد المعظم بمصر سنة (٥٧٨) على رأي ابن خلكان [٣] أو سنة (٥٧٦) على رأي سبط ابن الجوزي [٤] ونشأ كبقية الملوك الأيوبيين فتعلم الفروسية ، وادارة البلدان ، وأصول الحرب ، وقيادة الجيوش .

وملكت عليه الروح العلمية والأدبية مشاعره فلم يكن له مطامع في التوسع

---

(١) ابن خلكان ١/٥٠١ المطبعة الأميرية .
(٢) ديوان ابن عنين ، المقدمة ١٣ طبع المجمع العلمي العربي .
(٣) ابن خلكان والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٧ طبع دار الكتب المصرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والاستيلاء على أراضي غيره بل قنع بمملكته التي كانت تمتد من حدود حمص الى العريش ، فتشمل دمشق وضواحيها ، وبلدان السواحل الاسلامية ، والغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد وجميع بلاد حوران [١] .

يقول ابن الأثير : نفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقرّبهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ، لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء [٢] .

ويقول ابن خلكان عنه : إنه كان عالي الهمة حازماً ، شجاعاً ، مهيباً ، فاضلاً ، جامعاً شمل أرباب الفضائل ، محباً لهم ، كان يحب الأدب كثيراً ، وله رغبة فيه [٣] .

ويقول أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : الملك المعظم ، العالم الفقيه ، المجاهد في سبيل الله ، النحوي ، اللغوي ، ويطلق عنان القلم في ذكر محاسنه وترجمته في عدة أوراق . ويعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله : « قلت » ويحق له ذلك فان المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علوم وفنون ، وهو رجل بني أيوب ، وعالمهم بلا مدافعة ، ومحاسنه أشهر من أن تذكر [٤] .

هذا بعض ما وصفه به المؤرخون ، ولعل القارئ الكريم يأخذه العجب اذا قلنا له ان ملك دمشق وفلسطين وشرقي الأردن وحوران كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتخطى الطرقات الى دار أستاذه تاج الدين الكندي في جيرون

---

(١) ابن خلكان ١/٥٠١ . الانس الجليل ١/٣٥٥ .
(٢) الكامل ١٢/١٨٣ طبع مصر سنة ١٣٠٣ .
(٣) ابن خلكان المصدر المذكور .
(٤) مرآة الزمان ٨/٤٢٥ . النجوم الزاهرة ٦/٣٦٨ و ٣٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(حارة النوفرة اليوم) والكتاب تحت إبطه [١] وربما كان الطلاب لم ينتهوا من درسهم فيسكتون حين يحضر فيقول الملك المعظم لأستاذه: لا والله، اغلِ القراءة بالنوبة فليتموا [٢].

ولعل القارئ يظن ان قراءة الملك المعظم كانت ابتدائية، ولكننا نذكر أسماء الكتب التي قرأها على الكندي وهي: المفصّل للزمخشري وكان يحفظه غيباً، كتاب سيبويه وشرحه الكبير للسيرافي، وشرحه لابن درستويه، الايضاح لأبي علي الفارسي وكان يحفظه أيضاً، الحجة في القراءات له أيضاً، الحماسة، وحفظ على فخر الدين المسعودي وقرأ عليه الجامع الكبير في الفقه الحنفي، كما سمع مسند الامام احمد على حنبل وابن طبرزد، وسيرة ابن هشام على ابن المحلي بمصر.

وهذه دراسة كأرقى ما يمكن دراسته للغة العربية، والثقافة الاسلامية، ولا نعلم أحداً اليوم يدرس مثل هذه الكتب.

وقد دفعه حبه لتشجيع الإقبال على تعلم النحو أن أعلن أن كل من يحفظ المفصل للزمخشري له مائة دينار وخلعة، واجتمع القاضي ابن خلكان بجماعة كثيرة ممن يحفظه لهذا السبب [٣].

ويقول سبط ابن الجوزي: كان يحب الفقهاء ويحرضهم على الاشتغال بالعلم فيقول: من حفظ نص الجامع الكبير للكرماني أعطيته مئة دينار ومن حفظ الايضاح لأبي علي الفارسي في النحو أعطيته مئتي دينار فحفظ الكتابين جماعة ووفى لهم بما شرطه [٤].

---

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة، والوافي بالوفيات نقله عنه النعيمي في تنبيه الطالب.
(٢) ذيل الروضتين ٩٨.
(٣) وفيات الأعيان ١/٥٠١.
(٤) مرآة الزمان ٨/٤٢٧.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأمر أن يجمع له في اللغة كتاب جامع كبير فيه كتاب الصحاح ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد وغيرهما [١]

وأمر بترتيب مسند الامام أحمد على الأبواب وأن يرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه [٢] . وهذه فكرة لا تخرج الا من دماغ عالم مفكر غيور على اللغة العربية .

ولم يقف تفكيره عند تأليف معجم كبير جامع للغة العربية بل اتجه نحو الترجمة أيضاً فأمر الفتح بن علي البنداري بترجمة الشاهنامه للفردوسي الى اللغة العربية فعرّبها البنداري فكانت هي الترجمة الوحيدة باللغة العربية [٣] .

وأسند وزارة مملكته الى أشهر شعراء عصره وهو ابن عنين فكان عمله هذا أكبر تكريم للأدب العربي والشعر العربي .

وعطف على العلماء والأدباء عطفاً جعل مملكته تزخر بهم ، وشجع حركة التأليف والمؤلفين فألفت عدة مؤلفات في فنون شتى أهدي أكثرها اليه . فيقول الفتح بن علي بن محمد البنداري في مقدمة كتاب ألفه له : خدمةً لملك اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في جميع سلاطين الأمم ، وصار نظاماً لمحاسن يتزين بأفرادها سائر ملوك العرب والعجم ، مولانا السلطان الملك المعظم ، أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب [٤] .

ولما دخل سيف الدين الآمدي دمشق سنة (٦١٧) أنعم عليه الملك المعظم انعاماً كثيراً ، وأكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس [٥] . وقد ألف

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٨٣/١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٣ . والبداية والنهاية ١٢١/١٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مقدمة الشاهنامه للدكتور عبد الوهاب عزام .
(٤) دولة آل سلجوق ص (٣) مطبعة الموسوعات .
(٥) عيون الأنباء ١٧٤/٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآمدي المذكور له كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» وهو يعد من أجل كتب الفقه والتحليل والاستنتاج فقال في مقدمته أنه ألفه : خدمةً لمولانا السلطان الملك المعظم المكرم ، سلطان الأجواد والأمجاد ، أجل عالم ، وأفضل من تمتد اليه أعناق الهمم والعزائم ، ملك أرباب الفضائل ، ناقد خلاص الأفاضل ، باعث أموات الخواطر ، ناشر رفات العلوم الدواثر [١] .

وجاء في عيون الأنباء : ان رشيد الدين الصوري خدم الملك المعظم وكان مكيناً عنده وجيهاً ... ولم يزل في خدمته الى أن توفي المعظم ، وحرر أدوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته ، وقد صنع منها شيئاً كثيراً في أيام الملك المعظم [٢] . وألف كتاب الأدوية المفردة وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها لم يذكرها المتقدمون ، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين الصوري الى المواضع التي بها النباتات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النباتات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها .

ثم انه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه يُري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه اياه أيضاً في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين [٣] .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ص (٣) مطبعة المعارف .
(٢) عيون الأنباء ٢/٢١٦ .
(٣) المصدر المذكور ٢/٢١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يخفى ما في هذا العمل من عناء وتطلب نفقات واذا لم يكن ذلك برعاية الملك المعظم فمن المتعذر أن يقوم به شخص بنفسه .

مؤلفات الملك المعظم :

ان اشتغاله بسياسة بلاده ومقارعة جيرانه من الدول الأجنبية وغيرها لم يمنعه ان يقوم بعدة مؤلفات عرفنا منها ما يلي : كتاب في العروض ، شرح الجامع الكبير ، ديوان شعره ، كتاب في الرد على الخطيب البغدادي [1] (طبع في مصر عام ١٣٥١) .

ولا يطالع الانسان هذا الكتاب الا وتأخذه هزة الطرب حينما يقع على الجمل الآتية التي يقول فيها ملك دمشق : أنبأنا شيخنا الامام العلامة حجة العرب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي مشافهة [2] وأخبرنا الشيخ الامام الأوحد احمد بن عمر بن محمد بن قدامة المقدسي بقراءتي عليه بالبيت المقدس في صفر من سنة اثنين وعشرين وستمائة [3] . إذ يرى الملك المعظم يسلك طريق المحدثين في رواية الأخبار بالأسانيد .

مؤسساته العلمية :

للمعظم عدة مؤسسات علمية أنشئت لتعزيز العلوم والآداب :

(١) في مدينة القدس بباب الرحمة مدرسة تعرف بالنصرية نسبة للشيخ نصر المقدسي ، ثم عرفت بالغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي . ثم أعاد انشاءها المعظم وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح

(١) النجوم الزاهرة ٦/٢٦٧ ، مرآة الزمان ٨/٤٢٥ .
(٢) ص ١٧٦ .
(٣) ص ١٧٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المنطق لأبي يوسف بن اسحاق بن السكيت . وقد وقفت على كراسة منه بخط ابن الخشاب ، وعلى ظهر الكراسة الوقف ، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة عشر وست مئة . وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات [١] .

(٢) مدرسة للحنفية بالقدس عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدويدارية [٢] .

(٣) وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافاً حسنة [٣] .

(٤) المدرسة العادلية الكبرى بدمشق وهي الآن (مقر المجمع العلمي العربي) ورغماً عن أنها سميت باسم أبيه فاليه يعود الفضل في أكثر بنائها وإتمام عمارتها .

(٥) المدرسة المعظمية في صالحية دمشق وفيها قبره وقبور أهله وأولاده [٤] وقد زالت معالمها في عصرنا .

وللمعظم أبنية ومصانع كثيرة في فلسطين وخاصة في جبل الطور يطول بنا تعدادها .

وتتلخص ميول الملك المعظم بما يلي :

١ — سعيه لنشر اللغة العربية بوضع جوائز متعددة لمن يحفظ كتبها .

٢ — دعوته لتأليف معجم كبير جامع للغة العربية .

٣ — بذل المال بسخاء للعلماء وتقليدهم الوظائف الكبيرة كالسيف الآمدي ، والرشيد الصوري ، ويعقوب بن سقلاب النصراني .

---

(١) الانس الجليل ٢/٣٨٦ .

(٢) المصدر السابق ١/٣٥٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي ، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤ — تنشيط حركة التأليف في جميع العلوم .

٥ — تنشيط حركة الترجمة .

٦ — تكريمه الأدباء والشعراء بإسناد الوزارة اليهم كابن عنين وفخر الدين الساعاتي .

٧ — إنشاء المدارس للغة العربية ، وهذا مما اختصّ بها المعظم دون سائر من بنى مدارس في مصر والشام .

٨ — إنشاء المكتبات للمطالعة .

وهذه المبادئ التي قام بها الملك المعظم ، تشابه كثيراً المبادئ التي يقوم بها المجمع العلمي العربي الآن .

قسم الفقه في المدرسة العادلية الكبرى :

كانت بلاد الشام خاليةً من العلم وأهله ولكنها في زمان نور الدين الشهيد صارت مقراً للعلماء والفقهاء لصرف همته في بناء المدارس وترتيب أمورها والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم [1] . وكان ممن استدعاهم من العلماء الى البلاد الشامية قطب الدين النيسابوري [2] فوصل الى نور الدين في سنة (٥٦٨) وهو فقيه عصره ونسيج وحده ، فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ثم أطلقه إلى دمشق فدرّس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ونزل بمدرسة الجاروق [3] ، وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وهي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن .

---

(١) الروضتين ١٤/١ .

(٢) المصدر نفسه ١٣/١ .

(٣) هي المدرسة الجاروخية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم لما بناها الملك العادل أزال تلك العمارة وبناها هـذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس ، وهي المأوى ، وبها المثوى ، وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب (أي الروضتين في أخبار الدولتين) فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى [١] .

وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم . ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها فما فاتها ثمرته إذ فاتها مباشرته [١] .

ويصف لنا أبو شامة الاحتفال بافتتاحها فيقول : حضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل فجلس في ايوان المدرسة وجلس عن يمينه شيخ الحنفية جمال الدين المصري ثم فخر الدين بن عساكر ثم القاضي محيي الدين بن الشيرازي ثم القاضي محيي الدين بن يحيي الزكي .

وجلس عن يسار السلطان مدرس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري ، ثم سيف الدين الآمدي ، ثم شمس الدين بن سني الدولة ، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر وجلس مقابل السلطان تقي الدين بن الصلاح ، ودارت حلقة صغيرة فيها أعيان المدرسين والفقهاء والناس وراءهم متصلون ملء الايوان وكان مجلساً جليلاً لم يقع مثله الا في سنة (٦٢٣) واشترك السلطان مع الجماعة في الكلام العلمي [٢] .

ومن ذلك الوقت أصبحت التقاليد أن لا يلي التدريس فيها إلا قاضي القضاة وأن تكون محكمة للقضاء الشافعي ، وهذه أسماء من وليها على الترتيب .

---

(١) ابو شامة في الروضتين ١/٣١٤ .
(٢) ذيل الروضتين ١٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ — جمال الدين المصري [1] .
٢ — شمس الدين احمد بن خليل الخويي .
٣ — كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي نيابة عن شهاب الدين الخويي .
٤ — رفيع الدين الجيلي .
٥ — كمال الدين المذكور اصالة عن نفسه .
٦ — نجم الدين بن سني الدولة .
٧ — شمس الدين بن خلكان .
٨ — عز الدين محمد بن الصائغ .
٩ — بهاء الدين بن الزكي .
١٠ — نجم الدين بن صصرى .
١١ — بدر الدين بن جماعة .
١٢ — امام الدين القزويني .
١٣ — جمال الدين الزرعي .
١٤ — جلال الدين القزويني .
١٥ — علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي .
١٦ — علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاخنائي .

(١) أعطى ابو شامة ملاحظات قيمة عنه . فقال : انه اول من درّس فيها . وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلاً ويجري فيه مباحث حسنة . فانه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أوله الى آخره فلما تم له ذلك توفي بعد ذلك بقليل أي سنة (٦٢٣) . وقال عن مجلس قضائه : كان ملازماً لمجالس الحكم بالشباك الكائي بالجامع وغيره . وكان اذا جلس فيه بعد العصر لا يزال الى أن يصلي للمغرب ، . وفي بعض الليالي يصلي العشاء الآخرة فكان اذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجري بحضرته المذاكرة في العلم الى حين انفصاله . ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بايوان العادلية لاثبات الكتب ويصطف شهود البلد في جوانب الايوان وكان مجلساً عليه جلالة (ذيل الروضتين ١٤٨) وينبغي أن نشير هنا الى ان اهل دمشق حتى يومنا هذا يسمون المحكمة « بالعادلية » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٧ — جمال الدين يوسف بن ابراهيم بن جملة .

١٨ — تقي الدين السبكي .

١٩ — بهاء الدين احمد بن تقي الدين السبكي .

٢٠ — أخوه تاج الدين السبكي .

٢١ — سراج الدين الحمصي .

٢٢ — شمس الدين الونائي .

٢٣ — شرف الدين القزويني معيد المدرسة [١] .

ويغيب بعد ذلك في مطاوي الكتب المجهولة أسماء من تولاها بعد ذلك وفضلاً عن كون هؤلاء فقهاء وقضاة فان بينهم أعلاماً في الأدب واللغة كابن خلكان صاحب وفيات الأعيان وكجلال الدين القزويني الذي أصبح كتابه «التلخيص» في علوم المعاني والبديع والبيان كتاباً مدرسياً من عهده الى عصرنا هذا و كتاج الدين السبكي الذي له كتب قيمة في الأدب والتاريخ كجمع الجوامع و كطبقات الشافعية وقد ترجم لأكثرهم السيوطي في طبقات النحاة .

وكان يؤمها العلماء واللغويون ويجري فيها مباحثات ومناقشات لغوية وأدبية فقد نقل عن جلال الدين القزويني أنه قال : اجتمعت ببدر الدين ابن النحوية في العادلية بدمشق وسألته عن قول أبي النجم :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدّعي عليَّ ذنباً كله لم أصنع

في تقديم حرف السلب وتأخيره فما أجاب بشيء . وقد تكلم على هذا البيت كلاماً جيداً في مؤلفه «إسفار الصباح» والسبب في ذلك أن كل من وضع مصنفاً لا يلزمه أن يستحضر الكلام عليه متى طلب منه لأنه حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة في ذلك ويطالع الشروح فيحرر الكلام في ذلك الوقت ثم يسهو عنه [٢] .

(١) ذيل الروضتين ٢٣٩ ويرجع لمعرفة تراجم هؤلاء المذكورين الى تلبيه الطالب للنعيمي .
(٢) اللمات البرقية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وممن نزلها وتوفي فيها من الشعراء الفصيح محمد بن أبي النجم بن البطريق الشاعر الجزري الأديب له شعر حسن فائق [١] .

قسم القراءات واللغة العربية :

علم القراءات من فروع اللغة وهو عبارة عن بيان لهجات بعض القبائل العربية ومذاهب النحاة واللغويين في الألفاظ الواردة في القرآن الكريم . والقراءات والعربية متلازمتان . فلا يكون قارئ ماهر الا وهو نحوي لغوي ، ولا نحوي لغوي الا وهو قارئ .

وأئمة اللغة هم أئمة القراءات وأصحاب المذاهب فيها كأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي ، وخلف الأحمر ، وحمزة الزيات ، وأضرابهم كابن مالك ، وابن الحاجب ، وابن هشام ، وأبي حيان من المتأخرين .

أما هذا القسم وهو قسم القراءات واللغة العربية في المدرسة العادلية فقد كان في القسم الخارجي منها في تربة الملك العادل التي أحد أبوابها في دهليز المدرسة يقابله من الجهة الشمالية باب آخر لسكن أستاذ هذا الفن . وقد أفادنا أبو شامة بأنه كان ساكناً في هذه المدرسة هو وأهله .

ويفيدنا أيضاً بأنه كان فيها مجلس للكتب (قاعة مطالعة) في صدر الايوان وهو الموضع الذي كان يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها ومنه يخرج الى الصلاة بالمدرسة [٢] كما يفيدنا ابن العماد : أن أبا شامة وقف كتبه عليها وشرط أن لا تخرج منها فاحترقت جملة [٣] .

المشيخة الكبرى :

يرجع الفضل في معرفة هذه المشيخة الى محمد بن الجزري فقد قال في ترجمته لمحمد بن مالك النحوي الشهير : قدم دمشق مستوطناً ونزل بالعادلية الكبرى .

---

(٤) ذيل الروضتين ١٦٩ وتوفي سنة ٦٣٧ .
(١) المصدر السابق ص ٣٨ .
(٢) شذرات الذهب ٥/٣١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وولي مشيختها الكبرى التي من شرطها القراءات والعربية وأظن ولايته لها بعد أبي شامة . فأقام بالعادلية وألف التواليف المفيدة في فنون العربية ...

وحدثني بعض شيوخنا أنه كان يجلس في وظيفة مشيخة الاقراء بشباك التربة العادلية . وينتظر من يحضر يأخذ عنه . فاذا لم يجد أحداً يقوم الى الشباك ويقول : القراءات القراءات ، العربية العربية . ثم يدعو ويذهب ويقول : أنا لا أرى ان ذمتي تبرأ الا بهذا فانه قد لا يعلم اني جالس في هذا المكان لذلك[١] .

ويقول السيوطي : ان ابن مالك كان امام المدرسة العادلية أيضاً فكان اذا صلى يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيماً له[٢] .

وممن تولى مشيخة الاقراء الكبرى والإمامة فيها أبو شامة وبها ألف كتابه القيم « الروضتين في أخبار الدولتين » وأشار لذلك في كتابه المذكور[٣] .

ويفيد ابن الجزري بأنه كان بها مشيخة صغرى وممن تولاها محمد بن منصور الحلبي[٤] .

وهذه أسماء من عرف ممن تولوا المشيخة الكبرى فيها :

١ — القاسم بن أحمد اللورقي النحوي .
٢ — ابو شامة مؤلف الروضتين .
٣ — محمد بن مالك النحوي .
٤ — احمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري .
٥ — محمد بن أبي بكر الحريري .
٦ — محمد بن محمد الجزري مقرئ الممالك الاسلامية ومؤلف النشر في القراءات العشر .
٧ — ابنه فتح الدين .
٨ — ابنه الآخر محمد .

---

(١) غاية النهاية ٢/١٨٠ .
(٢) بغية الوعاة ص ٥٥ .
(٣) أنظر ص (٦١) من هذا المقال .
(٤) غاية النهاية ٢/٢٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٩ — صدقة الضرير .

١٠ — عثمان بن الصلف .

١١ — اسماعيل بن ابراهيم البكاري .

١٢ — محمد بن ابراهيم الزنجيلي .

١٣ — نصر الله البابي الجوخي [١] .

ومن طريف ما يذكر أن جماعة من المفرمين بالسبق تجمعوا بها وقرؤا الجزء الأول من تاريخ الحافظ ابن عساكر سنة (٦١٤) أي قبل أن يتم بناؤها بخمس سنين وكان من جملتهم الحافظ البرزالي المؤرخ [٢] ، فكانوا أول من درّس بها .

وقد غاب عنا أسماء من درّس بها منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر الذي ظهر به الشهاب أحمد المنيني صاحب التآليف العديدة فسكنها ودرّس بها وألّف . ثم تسلسل التدريس في أحفاده حتى جعلها المجمع العلمي العربي مقراً له في سنة (١٩١٩ م) .

ويقول المرحوم محمد كردعلي : وكأن المولى تعلقت ارادته فقضى أن لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة للمجمع العلمي ، يقيم فيهما سوق العلم والأدب بعد الكساد [٣] .

محمد أحمد دهمان

---

(١) يرجع لمعرفة تراجم هؤلاء الى تنبيه الطالب للنعيمي ج٢ التربة العادلية، والى غاية النهاية لابن الجزري ، وطبقات النحاة للسيوطي .

(٢) انظر الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ص٦٣٢ ٦٣٤ و ٦٥٢ و ٦٦٣ و ٦٧١ و ٦٨٢ و ٦٩٢ و ٧٠٨ و ٧١٩ .

(٣) خطط الشام ٨٥/٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net